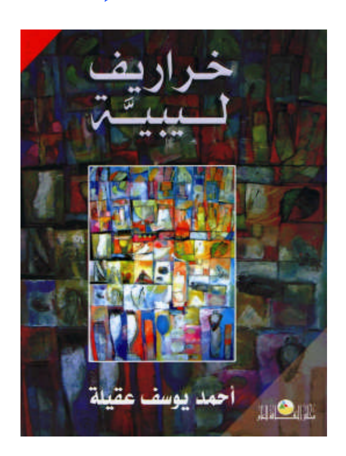
سُلْطان الْحِكايَة



مقدمة كتاب: خراريف ليبّية

بقلم: أحمد يوسف عقيلة



لديّ هَوَس بالتوثيق.. ولَمْلَمة أَشلاء هويّتِنا وذاتِنا الْمُتَشَظِّيَة.. هُويَّتنا الــتي جــرَى تَهميشها ــ بل وتغييبها ــ على حساب القوميّة العربيّة أوَّلاً.. ثُمّ على حساب كيانات وفضاءات أخرى.. يقول المسيح ــ عليه السلام ــ: (**بِماذا ينتفع الإنسانُ.. إذا رَبِــح العالَمَ كُلَّه وخَسِرَ نَفْسَه؟**).. لستُ ضدّ التكتُّلات والكيانات التي تقتضيها مــصلحة أيّ شعب.. بل قد يكون ذلك ضرورة.. بشرط الحفاظ على الذّات والهويّة.. ولا أرى تناقُضاً في ذلك.. فيمكننا الانضواء تحت أيّ كيان أو فضاء (عربي .. أفريقي.. متوسّطي) ونحن ليبيُّون لنا هُويَّتُنا.

إنَّني أخاف الزّحام إلى درجة الرُّعب.. وهذا ما يجعلني أتعامل مع المدينـــة بحَـــذَر.. ليس لأنَّني بَدَويّ.. بل لأنّ الزّحام يُزَعْزِع ذاتِي.. يجعلنِي أقع تحت تأثِيْر العَقْل الْجَمْعي.. (**مسلوباً من مزاياي الفرديّة**) كما قال روجيه جارودي.. فأسعى للابتعاد لاسترداد هذه الذّات.. وهذا ما جعلنِي أتحسَّس من أيّ انتماء.. بِما في ذلك الانتماء للقبيلـــة.. الـــذي يفرض نفسَه عليّ بحكم المولِد في مجتمع بدوي قَبَلي.. ويُشعرنِي بأنَّنِي شاة في القطيـــع.. الانتماء للقبيلة لا يُشبع حاجتِي إلى الانتماء.. الانتماء الوطني فقط هو الـــذي لا أشـــعر تجاهه بأيّ تهديد للذّات الفرديّة.. وفوق ذلك يُحَرِّرنِي من الانتماء القَبَلي.. الذي يشدّنِي دائماً إلى الوراء.

عندما تأسَّس لدي الوَعي بِجَمْع تُراثنا.. وَجَدتُ نفسي في سباق مع الْمَـــوْت.. كثيْراً ما سبَقَنِي.. وقد أرعبنِي ما قرأْتُه ذات يوم من أنّ الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ حين شرعوا في جَمْع القُرآن الكريم في مُصْحَفٍ واحد ـــ بعد مقتل كثيْر من القُرّاء في حروب الرِّدَّة.. ففي معركة اليمامة وحدها ضد مُسَيلمة الكَذّاب استُشْهِد سبعون من حُفّاظ القرآن ـــ افتقدوا آيةً لَم يجدوها مع أحد.. وبعد طول بحث وجدوها مع حُذيفة بن اليمان.. فقط مع حُذَيفة.. والسؤال: (**ماذا لو مات حُذَيفة قبـــل جَمْـــع القرآن**)؟ سيُقال بأنّ الله قد تكفَّل بحفظ كتابه.. "الْحِجْر9": {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ**}.. ولكن ماذا عن تُراث أُمَّة ترك الله مهمّة الحِفاظ عليه لأبنائها؟

عندما تَموت إحدى العجائز يقولون: (**عَجُوز كبِيْرة.. ما تـــستحقّ بكـــا.. مْكَمّلة عمرها**).. يا الله.. على مَن يكون البُكاء إذن.. موت العجوز التي أكملت عمرها أكثر فَداحة من موت الشَّباب.. مَوْت الكبير اندثار مكتبة.. انطواء سجلّ تاريخي بكامله.. الكبير أرشيف يمشي على قدمين.. حتَّى قالوا: (**اللي ما عِنْـــده كبِيْر.. يشْرِي له كبِيْر**).

إنَّنِي أعْجَب من أولئك الذين يقولون (**ليس لدينا تُراث**).. يُفتَرَض في مَن قال ذلك أن يكون قد بحث واستقصَى.. وبذل غاية جهده حتَّى أطلق هذا الْحُكْم على شعب بأكمله.. وجَرَّده من أهم مقوِّمات وجوده.. وكأنَّنا نَبتة شيطانيّة.. أو بذرة في الهواء.. لكنّ مثل هذه الأحكام لا تَعْدو كونَها من باب إطلاق الكلام على عَواهنه.. تُراثنا من الكَثْرة والزَّخَم والتنَوُّع بحيث يحتاج إلى مؤسَّسات لجمعه.. ونظراً لافتقاد المؤسسة فإنّ الأفراد هم الذين يُحاولون سدّ هذا الفراغ الْمُخيف.

الجهد الفردي كان على امتداد تاريخنا الطويل.. ورحِم الله الأصمعي.. الذي قِيْل بأنَّه ذهب على ناقته مَسِيْرة شهر من أجل الحصول على بيت واحد من الشِّعْر! والذي ينظر إلى تاريخنا.. وإلى آلاف الْمُجلَّدات في الفِقْه واللغة والشِّعْر والتاريخ ومختلف المعارف.. يُدْرِك هِمَم أجدادنا في جمع هذا الكَم الهائل من التراث الإنساني.. على الرّغم من شُحّ وسائل التوثيق.. ويُدْرِك قيمتهم للزَّمن.. كان في حِسِّهم آلةً حادَّة.. فقالوا: (**الوقت كالسَّيْف**).. حتَّى قال أحدهم وهو يَكتب ما جَمَعَه: (**إنَّني أُفَضِّلُ سَفَّ الكعك على قَضْم الْخُبْز**).. قالوا: (**لماذا؟**).. فقال: (**بينهما قَدْر عشرين سَطْراً**)! والأعجب أنّ كثيراً منهم كانوا عُميان.. منهم ـــ على سبيل المثال لا الحصر ـــ ابن سِيْده.. وداوود الأنطاكي.. والترمذي.. والعُكْبَري.. صاحب الْمُجَلَّدات الكثيرة.. منها إعراب القرآن في مُجَلَّدين! فماذا يفعل الْمُبْصِرون؟

في البدء كانت الحِكاية.. "ص71، 72": (**إِذْ قَالَ رُبَّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِيْنٍ.. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِن رُّوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِيْنَ**).. حِكاية الإنسان.. الإنسان حَفْنة التراب التي نفخ فيها الإله.. يشعر دائماً بالحنين إلى الروح الكُلِّي.. ولعلَّ هذا أحد أسباب غُربة الإنسان.. إنَّنا نُحس بالغُربة رُبَّما لأنَّنا لا ننتمي إلى هذا العالَم.. في داخلنا شيء إلهي.. هو تلك النَّفخة.. تلك الروح.

كان الإنسان ــ منذ القِدَم ــ مولَعاً بالحِكاية.. قال العرب لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أليس في قُرآنكَ سوى الحديث عن الجنّة والنار؟ أليس فيه قَصَص؟ فـأنزلَ الله تعالَى سورة يوسف عليه السلام: {**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**}.

تأصيل الهويّة لَمْ يكن الواعزَ الوحيد لِجَمْع هذه الخَراريف.. فهذه الحِكايات هي التي أَسَّسَت وجْدانِي.. بل وجدان أجيال بكاملها.. إنّه نَوْع من رَدّ الجميل.. ووفاء الـدَّيْن لأؤلئك القَصّاصين الأَفْذاذ.. كنتُ أُنْصِت بشَغَف علَى ضَوء الفنار الخافِت.. الذي يزرع ظِلالَنا المستطيلة الْمُتكَسِّرة على الأروقة الْمُزَخْرَفَة.. تلْك المهارة في القَصّ جعَلَتْنِي أُحِـب الغُوْل! وعَلَّمَتْني كيف أتناول المأساة في قالَب جَمالِي.. لَم تكن تَسلية ودرسـاً تربويَّـا فقط.. بل كانت ــ قبل هذا وذاك ــ دروساً في السَّرْد.

لَم نكُن نستَمِع.. بل كُنّا نُنْصِت.. ولا يَخْفَى أنّ الإنصات معنى فوق الاسـتماع.. كانت أعيننا معلَّقة بشفَتِيّ السارد.. بوجهه ويديه.. كان الكلام مـصحوباً بإيْمـاءات تَمنحه الكثير من الظِّلال والعُمْق الذي يعجز عن إيصاله اللسان.. كانت نَبْرة الـصوت تدعَم المعانِي أيضاً.. فالْخَرّاف لَم يكُن سارِداً فقط.. بل كان مُمَثِّلاً.. يتقَمَّص شخصيّات حكايته.. وقد أَخَذْتُ هذه الخراريف من أَفواه أصحابها مباشرة.. بلغتـها الْمَحْكِيّـة.. وكنت أَتَمنَّى أن أنقل الإيْماءات الجسديّة أيضاً.

عَزّ عَلَيّ أن أرى أطفالَنا لا يُجيدون فَنّ الحَكِي.. حتّى نـشأت أجيـال لا يعـرف أحدهم كيف يُخْبِرك ببساطة أنّه ذهب إلى الفُرْن ولم يجد خُبزاً! فيُفأفِئ ويتلعثم ويلـفّ ويدور.. وتنقطع أنفاسه من أجل إيصال هذا الخبر القصير.. ومن أمثالنا: (**العَلَل يفَـسّده عَلاّلـه**).. أي أنَّ السَّرْد يُفسده أحياناً سارِدُه.. لذلك امتدحوا الاختزال وذَمُّوا التطويل الْمُمِلّ فقالوا: (**طُول السِّلْك يودَّر لبْرة**).. وإن كان هناك الكثير من الإسهاب والْجُمَل الاعتراضية الإيضاحية في هذه الخراريف فهو مُقْتَضَى الضرورة.. فالْمَقام مقام تطوِيْـل..

ربّما لأنّ الْمُتلقِّي طفل في الغالب.. فيكون التعبير عن البُعد والإيغال في المسافة بتكـــرار الفعل (**مشَى.. مشَى.. مشَى..**).

هذه الخراريف تشَرَّبْنا منها القِيَم.. فالشِّرِّيْر لابُدّ أن يُعاقَب في نهاية الحكاية.. والطَّيِّب الْخَيِّر ينال ثوابه.. ومن هذه الحكايات أيضاً ارتبطت عندنا الصحراء بالتِّيْه.. فدائماً هناك صحراءِ للتِّيْه.. ودائماً هناك مدينة أو قصر يظهر فجأة.. وغالباً هناك عجوز.. وأحيانـــاً هناك يهودي في المدينة على وجه الخصوص.. وولد السلطان لابدّ أن يكون مُدَلَّلاً.. حتَى قالوا في المثل: (**ولَد السلْطان اَسْمه احْمَيْدة**).

هذه الخراريف أَضْفَت هالة من الغموض والقداسة حول الـــرقم ســـبعة.. (سَـــبْع مطارِق.. سَبْع سلاسل.. سَبْع برُوْر.. سَبْع بحُوْر.. سَبْع جرار دموع.. سَبْع مراوِح.. سَبْع بنات.. سَبْع طيوْر.. سَبْع أَيّام.. سَبْع ليالِي.. سَبْع رفاقَة.. ذَبّاحة نوَيْقة النبي السّبْعة.. سَبْع معْزَى سُوْد).. وهي مرجعيّة دينيّة.. لا حاجة للتدليل عليها من الميثولوجيا الإسلاميّة.

والتأثُّر واضح في أحداثٍ أخرى.. كقَطْع الأصابع من جمال (أمّ جْلَيْدة).. يُحِيلُنا إلى قصّة يوسف ـــ عليه السلام ـــ "يوسف31": {**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهَ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**}.

كذلك ضرب البحر بالعَصا: (**جَت للبحر ضرباته بالعَصا دار لها طريق**).. يُحِيلُنـــا إلى نجاة موسى ـــ عليه السلام ـــ وبني إسرائيل من فرعون "طه77": {**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيْقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً**}.

ووضْع الطفل في صندوق وإلقائه في البحر في حِكاية (زهوة الدنيا).. يُذَكِّر بقـــصة موسى ـــ عليه السلام ـــ "طه39": {**أَنِ اقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيْه فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**}.

وحِكاية (حدُوْد العَجَب) ـــ بِما تحمله من مَشاهد الرحلة الرَّمْزيّة ـــ تجعل الــذِّهن ينصرف تلقائيًّا إلى قصة الإسراء والمعراج.

هناك أحداث تُنبئ برؤيا مُستقبليّة.. كالاستنساخ مثلاً: (**دارَتّـــا الْحُوْتـــة ثـــلاث عْوَيشات.. عْوَيشة خَذها القاضي.. وعْوَيشة خَذها الحاكِم.. وعْوَيشة لَصْلِيّة خَـــذها الْحَنَش**).

هناك شيء من تاجر البندقيّة (شايلوك): (**مسك اليهودي وقال له: ما نطلْقَك نَيْن ناخذ مِسْيار من جِلْدَك.. مِن إصبع كراعَك لاعِنْد قبّاعة راسَك**).. ربّما هذه الحكايـــة سابقة حَتّى على مسرحيّة شكسبير.

يُلاحَظ تشابه في بعض الأحداث مع بعض الحكايات الأجنبية.. ففي خرّافة (الثِّيْران السَّبْعة: (**هَذاك اليوم وَيْنما هَفّتَت عليه مسَكّا.. وتَمَا يتلَمَّس فيها.. وهو يَلْقَى فيهـــا هَذِيْك لِبْرة.. نتَش لِبْرة.. رَدَّت الحمامة هي أمّه**).. وفي الحكاية الفرنسية (البرتقـــالات الثلاث): (**كانت ابنة الملك تَمشط شَعْر رفيقتها.. فوضعت في رأسها دَبُّوساً فتحوَّلت إلى حَمامة**).

وفي خرّافة (حْدود العَجَب): قال لها الصَّيّاد: (**حَسُوفة يا غَزالة.. قتلت اغْزَيّلِك.. والله ماني عارفه.. لقِيْته في جلُوبة.. نَفْداه لِك.. اطلْبي اللي تريديها**).. قالـــت لـــه: (**جيْب لِي حدوْد العَجَب**).. وفي الحِكاية الفرنسية (البرتقالات الثلاث): (**رَمَى الأَميْـــر الكُرَة فكسرت إناء الزَّيت الذي تحمله العجوز.. فأراد أن يُعلِن عن أسفه.. فقالت له: (أيها الأَميْر لن تكون سعيداً حتى تجد البرتقالات الثلاث**).. فالعقوبـــة في الحكـــايتين كانت تتطلّب العثور على شيء غريب تكفِيْراً عن الذَّنب.

وحِكاية (حَمَد وحَمَد وحَمَد) لها نظير في الأدب العربي القــديم.. وهــي حكايــة مشهورة تتحدَّث عن ثلاثة إخوة يتمتعون بالفراسة.. وإن كانت الحِكاية الشعبية أكثــر عُمقاً ودِلالة.

بعض هذه الحكايات كانت للأطفال من سِنّ الثالثــة.. كحكايــات (بوصِــيبانة.. والغُوْل.. وبِيْر اقْلَيْتة).. فحكاية (بِيْر اقْلَيْتة) تمتدِح الصِّدق وتَذمّ الكذب.. حتّــى ينــال الكاذِب عقابه في النهاية.. لكن كان هناك شيء قبل ذلك لا يقلّ أهميّة.. كانت تُقَــدِّم نَوعاً من المعرفة لطفلٍ لم يتجاوز الثلاث سنوات.. تعلَّمْنا منــها أصــوات الحيوانــات.. فالجمَل يرَغِّي.. والحصان يصْهل.. والكلب يَنْبَح.. إلخ.

وحكاية (الغُوْل) تعلَّمْنا منها زيادة الأعداد وتنقِيْصها.. فحين يُعطون الغُوْل في الليلة الأوْلَى العَنْز السابعة تقول الرّاوية: قعدَن ستّة.. وحين يُعطونه في الليلــة الثانيــة العَنْــز السادسة تقول الرّاوية: قعدَن خَمْسة.. أو تسألنا: (كم يَبْقَى؟).. وهكذا كنّا نتعلَّم العَدد تصاعُديًّا وتنازُليًّا: نعُدّ الليالي من واحدة إلى سبع.. وننقص المعْزَى من سبع إلى واحدة.

الأهمّ من هذا وذاك أنَّنا كُنّا نُصَدِّق كُلَّ هذه الأحداث.. لَمْ نَكُــن نــسأل عــن الْجَدْوَى.. اللعنة على هذا السؤال.. لا يَطْرَحُ سؤالَ الْجَدْوَى سوى التُّجّار.. إن لَم يكن للفَنّ جَدْوَى سِوَى الْمُتعة فيكفيه ذلك.. عندما قالوا لنا في المدرسة بأن الغُوْل شخــصيّة وَهْميّة.. أزعَجَني ذلك إلى حَدّ البُكاء.. أحسَسْتُ بفداحة الخسارة.. خسارة كائن كنت أترَقَّبه كلَّ ليلة.. يُضفِي الكثير من التشويق على الحكايات.. ويزرع الخــوف في عيــون الرّاويات.

يقول تودوروف: (**عندما يخطئ سارِد ما.. أو يكذب.. فإن نَصَّه لا يكــون أقــل أهمية مِمّا لو كان يقول الحقيقة.. فالشيء الْمُهِمّ هو أن يكون النَّصُّ قابلاً للقبول مــن**

جانب المعاصرين.. أو يكون مُنْتِجُه قد اعتبَره كذلك.. ومن هذه الزاوية فإنّ فكـــرة "الزائف" ليست لها أهمية هنا).

الْمُعَوَّل عليه في السَّرْد هو الصدق الفنِّي.. وليس الصدق بمعناه الأخلاقي.. عنـــدما يبدأ أحدهم حكايةً ما مُؤكِّداً أنَّها حكاية حقيقيّة واقعيّة.. فإنَّني أُهيِّئ نفـــسي لـــسماع حكاية مُمِلّة.. مهما كانت براعة السارِد.. يقول الروائي النيجيري غينوا اتشيبِي: (**ليست هناك قصة غير حقيقيّة**).

رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: (**امرؤ القيس أشعر الشُّعَراء**).. لو كان المقياس أخلاقيًّا لَما قال ذلك.. فامرؤ القيس بالمعيار الديني والأخلاقي كان كافراً ماجناً.. يصف حتى الممارسة الجنسية في قصائده بشكل فاضح.. الفن لا يأخـــذ شـــرعيّته مـــن خارجه.

على كلّ حال ليس الغُوْل شخصيّةً وهميّة.. فحياتنا مُزدحِمة بالغِيْلان.. ابتداءً مـــن غُوْل الفَقْر والغَلاء الفاحِش.. مروراً بغُوْل الاستلاب والتغريب.. انتهاءً بغُوْل العَولَمـــة.. وماذا عن الغُوْل الْمُدَجَّج بحاملات الطائرات والصواريخ والقنابل الغَبيّة؟

الغُول تَجْسِيْد للشَّرّ.. إذ لا يُمكن محاربة شيء لا يتجسَّد.. الغُول يـــأتي في صـــورة كلب أحياناً.. أو رَجُل.. والغُولة تتجسَّد في صورة امرأة.. قد تأخذ اسماً مألوفاً.. كالغُولة في حكاية (نقارِش) اسمها (فاطمة).. وتُنادَى: (عَمّتِي فاطمة).. هل هو نوع من (استئناس المتوحِّش؟).. وجَعْل الغرائبِي مألوفاً؟

تأتي أهميّة التحيّة وقداستها من كَونها تُشَكِّل نوعاً من الأَمان.. حتَّى ضدّ الغِـــيلان.. فالغَول يقول لِمَن أَلْقَى عليه السلام: (**لُو ما سلامَك سبَق كلامَك.. ما تَسْمَع غَيْر طقِيْق عظامَك**).. فلا بُدَّ من خطوط حَمْراء في المجتمع.. تقف عندها حتَّى الوحوش!

لاحظْتُ من خلال جَمْع هذه الخراريف اختلاف الروايات من منطقة إلى أخـــرى.. على الرغم من قرب المسافة.. وهناك اختلاف في النهايات أيضاً.. هل هو تدخُّل الرُّواة؟ أمّ هي طبيعة النَّقْل؟ فحين يُنقَل الكلام يُزاد فيه ويُنْقَص.. وإن كان الغالب هو الزيـــادة.. الخراريف نصوص مَرويّة شفاهِيًّا.. لَم تكتسب حالة الثَّبات بالتدوين.. إنَّهــا نــصوص **(تتغيَّر)** مع كلّ رواية.. إذ من المستحيل أن تتطابق روايتان لحكاية واحدة.. سواءً لراويَيْن مختلفَيْن.. أو حتَّى لنفس الراوي.. وهذا حدث للقرآن الكريم أيضاً.. فقبل التدوين كانت كلّ قبيلة تقرأ بلهجتها.. كانت هناك سعة للنّصّ القرآني.. وعند جَمْع القرآن قال عثمان ــ رضي الله عنه ــ إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة أهل الحجاز.. فقد نــزل القـــرآن بلغتهم.. فحدث تقييد.. لكن بعد تدوين القرآن أصبحت القراءات الْمتعدِّدة المعروفة نوعاً من التعويض عن هذا التقييد.. لأنّ التدوين ــ بقدر ما يحافظ على النصوص ــ يُقلِّــص سعتها أيضاً.

الحكايات نصوص مُتحرِّرة وليست ثابتة.. يقول (يان فانسينا) في كتابه (المــأثورات الشفاهية) ص118: (يمكن التفرقة بين نوعين من المأثورات.. فهناك مأثورات ذات شكل ثابت.. حُفِظت عن ظهر قلب.. وتَمَّ تناقلها كما هي.. وهناك مــأثورات ذات شــكل متحرِّر.. لَم تُحفَظ عن ظهر قلب.. ومن ثَمَّ فقد نقلها كل شخص بطريقته الخاصــة.. والقصيدة مثال للنوع ذي النَّصّ الثابت.. أمّا الحكايات فهي مثال للنوع الْمتحــرِّر.. إنَّ كلَّ كلمة في القصيدة تنتمي إلى المأثورات.. أمّا كلمات الحكاية فهي جُهْد يُــسهِم بـــه الراوي.. وإنَّ الخطوط العريضة العامة للحكاية هي التي تنتمي إلى المأثورات فحسب).

الزيادة في نقل الكلام لا تعني الكذب.. بقدر ما هي عائدة إلى شخصيّة الــرّاوي.. وإلى خلفيّته الثقافيّة.. وأحياناً تعود إلى نوع الْمُتلقِّي وطبيعته ومستواه.. يقول الــصحابي الجليل مُعاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ: **(نحن قَومٌ عَرَب.. نَزيد في الكلام ونــنقص.. ولا نقْصِد بذلك كَذِباً)**.. يقول (يان فانسينا) في كتابه (المأثورات الــشفاهية) ص120:

(**إنَّ كلّ راوٍ يُضيف عادةً بعض اللمسات الخاصّة به**).. وقد تبَيَّن لِيّ صدق ذلك من خلال سَماع الحكاية الواحدة من عِدّة رواة.. ولَم أكن بدَوْري مُجرَّدَ ناقِلٍ حَرْفِي لهذه الخراريف.. بل كنُت راوياً.. أضفت لَمْستِي الخاصَّة أيضاً.

أَذهَلَتْنِي الراوية (سَدَّيْنا آدم كامل).. فقد كانت لا تستعمل الفعل (قال) إلاّ نادراً.. بل تأتي بالحوار مباشرة.. كما أنَّها لا تستعمل واو العطف إلاّ للضرورة القصوى.. فَسَرْدُها جُمَل متلاحقة.. كَم أكره حروف العَطف.. فهي تجعل الكلام مُتهَدِّلاً.

هناك قَصْديّة في المحافظة على إيقاع الْجُمَل.. ومنحها نوعاً من الموسيقا: (**عَطاته للعَجوز.. زمْقَت العَجوز**).. بدل الاكتفاء بقول (**زمْقَت**).. أو: (**لْقِي إبْرة.. نتَش لِبْرة**).. بدل (**نتشّا**).. والأمثلة على ذلك كثِيْرة.. سيُلاحظها القارئ الكريم.

كثير من الحِكايات تتضمَّن فقرات مُوقَّعة.. أقرب إلى الأناشيد.. قد تطول وقد تقصر.. منها على سبيل المثال: (**كان كلَيْته والاّ رَيْته.. طَيّحْني في بِيْر اقْلَيْتة**).. (**يا غَوْطاً فِيْك نقارِيْش.. ما م الوَحْشة والواحِيْش**).. (**يا شايب يا عَجُوْز.. يا بقَيْرةً قَنْدُوْز**).. (**يا حَمام ويا يْمام.. أمِّي ورا والاّ قدّام**).

هناك ما يُشبه النَّحت للكلمات.. بتغيِيْر نُطقها لصُنع إيقاع في السَّرد.. فغراب يصبح (غَرْبون).. وقراد يُصبح (قَرْدون).. وأرنب يُصبح (رَنْبون).. وهكذا.

بعض الخراريف تزداد زيادة مُضطرِدة.. تتناسَل.. كحِكايات: (أمّ بسيسى.. والعَنْز الْجَرْبا.. ونِصّ انْصَيْص.. وبوصِيْبانة).. إنَّها حكايات ذات نهايات مُتعَدِّدة.. حِكايات لا تنتهي إلاّ إذا شاء الرّاوي ذلك.. فهي مفتوحة على اللانهاية.. وهذا لا يعود إلى شخصيّة الرّاوي أو مستوى المتلقّي.. بقدر ما هو راجع إلى طبيعة الحكاية نفسها.

ليس هناك مكان ولا زمان مُحَدَّد في هذه الحكايات.. وقليلاً ما تكون هناك أسماء مُحدّدة.. بل يُستعمَل غالباً اسم الإشارة: (**فيه هَذاك السلطان.. هَذِيْك المدينة.. هَذاك المكان.. هَذاك النهار.. هَذاك الْحَوّات.. هَذيك الوِليّة...**).. ونادراً ما تَرِد الإشارة إلى الْمُعْتَقَد.. وهذا أكْسَبها عموميّة.. إنَّها حكايات من الممكن أن تقع في أي زمان.. وأي مكان من هذا العالَم.. ولأيّ أحد.

لوازِم البدايات تكاد تكون واحدة: (**فيه هَذاك السلطان.. ما سلطان غيْر الله.. واللي عليه ذنوب يقول استغفر الله**).. هذا إذا كانت الحِكاية عن السلطان.. وما أكثر السلاطين في خراريفنا! وقد يكون مُفتَتَح الحكاية هكذا: (**سَمِّعْكَم خَيْر.. ووكِّلْكَم لَحَم طَيْر**).. وكثير من الخراريف تبدأ بهذه اللازمة: (**الله ينعل الشيطان**).. أو: (**الله يبعد الشيطان ويخزيه**).. فالحكايات فيها شيء من القداسة ــ لعَلّها قداسة السَّرْد نفسه ــ تتطلَّب إقصاء الشيطان منذ البداية ولَعنه.. من أجل إحلال البَرَكَة.. وقد تكون اللازمة في ثنايا السَّرْد.. مثل: (**إيوَة يا سِيْوَة يا اللي فيك التمر الواجد**).. والحِكايات تنتهي بلازمة أيضاً: (**ونا جِيْت جاي.. وهم عَدَّوا غادي**).. أو: (**وهذا حَدّها.. وارْحَمْ جَدّها**).. وللمتلَقِّي لازمته أيضاً: (**مَرْحَبة بِك.. انتِي خَيْر منهم**).

الخرّافة هي الحِكاية.. وتُطلَق على الحكاية الأُسطوريّة.. في لسان العرب وتاج العروس (خرف): (الخريف: أحد فصول السنة.. سُمِّي خريفاً لأنَّه تُخْرَف فيه الثمار.. أي تُجْتَنَى.. قال أبو حنيفة: ليس الخريف في الأصل باسم الفصل.. وإنَّما هو اسم مطر القَيْظ.. والخريف: الساقية.. والخريف: الرُّطَب الْمَجْنيّ.. وخَرَفَ النَّخْلَ: اجتناه.. والْخُرافة: الحديث الْمُسْتَمْلَح من الكذب).. ويبدو أنَّ مادة (خرف) تدور على الرِّيّ والقَطْف والاجتناء.. وهذا ليس بعيداً عن معنى الخراريف.. فهي نوع من الرِّيّ والاجتناء أيضاً.. وسُمِّي راوي القِصَص والشِّعْر كذلك.. لأنّه يَروي السامِعَ الْمُتَعَطِّشَ إلى السَّماع.

هذه الخراريف كانت تُحْكَى في الليل.. في بدايته على وجه الخصوص.. أحياناً يُعلَن عن ذلك قبل حلول الليل: (**عَمّتكَم أمّ الْخَيْر الليلة تريد تْخَـــرِّف.. الحاضِـــر يعْلِـــم الغايب**).. يسْري الْخَبَر في النَّجْع.. من بيت إلى بيت.. تنقله الحناجر من سَفْح إلى سَفْح: (**عَمّتِي أمّ الْخَيْر الليلة تريد تْخاااارِّف**).. وقد نُحَوِّل الإعلان إلى نوع من الفَـــرَح.. فنجعله على إيقاع التصفيق (الكِشْك): (**أمّ الْخَيْر.. تريد تْخَرِّف**).

الخراريف بعد وَجْبة العَشاء.. يجب إسكات الجسد أوّلاً.. وإزاحة أيّ شاغِل أمـــام الْمُخَيِّلة.. كانت الخراريف تُحْظَر في النهار.. حتّى سَنُّوا ما يشبه القانون أو التابو: (**اللي يخَرِّف في النهار بُوْه حمار.. واللي يخَرِّف في الليل بُوه اجْمَيْل**).. ولا يَخْفَى الفارق بـــين الجمَل والحمار.. وإن كان الحمار قد ظُلِم تاريخيًّا واجتماعيًّا.

لعلّ السبب في جعل الليل زمناً وبَراحاً للخراريف هو طبيعـــة الحيـــاة في المجتمـــع البدوي.. فالنهار للعمل.. تقول (فاطمة غَنْدور) في مُقَدِّمة كتابها (يـــا حجـــاركم يـــا مجاركم) "ص7" عن الحكايات الشعبية: (**مسرحها الليل.. وكأنّ الجماعة التي قـــسمت زمنها اليومي إلى نَهار وليل.. تُدَلِّل على تعايشها مع واقعهـــا.. وخَلْقهـــا للتـــوازن الحياتِي.. فالنهار للعمل والكَدّ.. لا فراغ فيه ليُملأ.. فيما مَثَّل الليل الْمُتَنَفَّس الوحيد للانشغال بِما يُسْتَأْنَس له.. ولإطلاق العِنان للمُخَيِّلة الْمُنفلِتة الْمُحَلِّقـــة في عـــوالِمَ لا مشروطة.. أمكنة وأزمنة وكائنات**).

بالطَّبْع لا يستطيع الرّاوي أن يحكي كلَّ ليلة.. كان في النَّجْع عِدَّة رُواة.. يتناوبون.. أحياناً يُطْلَب مِنّا أن نَحْكي.. نحكي ما حفِظْناه.. فكُنّا نتسابق إلى سَـــرْد الخراريـــف.. كانت أم الْخَيْر تُشْرِف على طقُوْس الحِكاية: (**سَقِّمْ قعدتك.. وسَرِّحْ رقبتَـــك.. وبـــلا كَثْرة تلفِّت**).. وحَيْن أشْرَع في السَّرْد تُلاحِظ أمّ الْخَيْر: (**بالرّاحَة.. عليش مـــستعْجِل.. الليل طويل.. ما تطْرِد فيك شِي قَوْم.. امْلا فَمَك بالكلام بلا هَذْرَبَة.. وسُوْق العَلَـــل سَوْق**).. فأَعود إلى نقطة البداية.. و(**امْلا فَمَك بالكلام بلا هَذْرَبَة**).. يعني أن أحـــرص

على مخارج الحروف.. وأن أُعطي كُلّ حَرْف حَقَّه في النُّطْق.. و(**وسُوْق العَلَل سَوْق**).. يعنِي ألاّ أنسى وأستدرك كُلّ مرَّة.. وكانت تقول: (**الْخرّافَة كَيْ الغَلَم.. والْخَرّاف هو الرّاعي.. الرّاعي الكوَيِّس تَبْقَى غلمه متلاحقة.. والرّاعي العَطِيْب تَبْقَى غلمه سـايبة هَتايا**)!

الْخراريف ارتبطت عندنا بالنِّساء.. فالمرأة هي الرّاوية في مُعْظَم الْخراريف.. امتلكت سُلْطان الحِكاية.. سُلْطَة القَصّ.. فكلمة (القَصّ) توحي بالسُّلْطة.. لأنَّ معنــاه التَّتبُّــع.. كتتبُّع الأثر.. "الكهف64": {**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً**}.. أو القَصّ بآلة حادّة.. وهو معنى أوضح للغَلَبة والسُّلطة.. هل هو نوع من التَّعْوِيض عن سُلْطانها الغائب في مُجْتمَــع ذكوري؟ كما فعلت شَهْرزاد.. حين تحوَّلت من مَحْظيّة إلى راوية تشُد السُّلْطان من أُذنَيه كلّ ليلة.. يُصغي حتَّى يُدركَه الصّباح.. فالسَّرْد ردِيْف الحياة.. وانقطاعه نَهايــة لهــا.. فالْمُتَلَقِّي ــ عند شَهْرَزاد ــ جَلاّد.. فهذا هو الأصل في السَّرْد.. وبعد شَهْرَزاد أصــبح السَّرْدُ لِجَلاّدٍ مُفْتَرَض! فأيّ حِرْص على السَّرْد حين تُدْرِك أنّ الْمُستمِع يتربَّص بك.. وقد لا تُعجبه حِكايتُك.. فيقتلك في نِهايتها.. أو في أثنائها.. وهو قَتْل لــيس بالــضرورة أن يكون مادِّيًّا.. يكفي أن يتثاءب!

شَهْرَزاد الليبيّة فعلت ذلك أيضاً.. في الليل تَسْتَحْوِذ على الاهتمام.. يتحلَّق حَولهــا الْمُريدون.. ذكوراً وإناثاً.. ليس الصغار فقط.. رأيت عَمَّتِي أم الْخَيْر بنت عقيلة يُنصت لها الرجال أيضاً.. إنَّه مَوقِع استعلاء أمام الرَّجل.. في مقابل مواقعه الاستعلائية الكــثيرة.. ولعلّ الْجِنْس هو أكثر مواقع الرجل استعلاءً وساديّة!

لماذا تقتل المرأة رجلاً وتلبس جِلْدَه؟! هل هو مُجَرَّد انتقام ساذج؟ أم مُحاولة التلبُّس بالذكورة في مُجتمع يُعلي من شأن هذه الذكورة.. ويُقصي الأُنوثة.. ويعدُّها ضعفاً؟

في خرّافة (بْقَيْرة اليتامَى): (**هَذاك النهار جاعوا وعطشُوا.. قالوا: يا بقَيْرتنا قتَلْنـــا الجوع والعَطَش.. زبلَت لهم تَمْر.. ودَرَّت لهم حلِيْب**).. يبدو هذا نوعاً من التعـــويض عن الأُمومة.. فاليتامَى يعيشون مع زوجة الأَب القاسية.. كان التعويض الأَنـــسب هـــو الإدرار.. لارتباط الأُمومة بالحليب.

كيف تنتشر الحِكاية من منطقة إلى منطقة.. ومن بلَد إلى بلَد؟ لَم أقف عنـــد هـــذا السؤال كثيراً.. فانتشار الحِكايات يبدو سَهْلاً.. يكفي أن يستمع إلى حكايتك شـــخص مسافر.. ثُمّ يرجع إلى بلده لتجد أنّ حكايتك قد سافرت أيضاً.. كذلك تجارة القوافل.. ولعل تجارة الرقيق كانت من أهم عوامل انتشار الحِكايات.. فعبيد أفريقيا نقلـــوا معهـــم حكاياهم إلى شمال أفريقيا وإلى الأمريكتين وأوروبا.

والآن.. بعد غِياب طقوس الحكاية.. وكثرة البدائل.. كالقنوات الفضائية.. الغنيّـــة بالصوت والصورة والألوان.. ناهِيْك عن الراديو والهاتف النَّقّال وشبكة الإنترنت.. أَلَـــم يعد للحكاية الشعبيّة مكان؟ لماذا لا تُستخدم هذه الوسائط الحديثة في نقل الخراريف صوتاً وصورة؟

جَمَعتُ هذه الحِكايات من منطقة الجبل الأخضر.. تحديداً من منطقة (وادي الكُوف) وما حَولها.. ولا أَدَّعي أنَّها تختصّ بهذه المنطقة.. لكنَّها منتشرة في كـــلّ منـــاطق ليبيـــا الشاسعة.. مع الاختلاف في الروايات واللهجة.

بَقيَ أن أقول إنَّ ما يهمّني هو الْجَمْع والتوثيق.. وسأترك الدراسة والتحليل لغيري.. أنا الحاصِد فقط.. مُتمَثِّلاً قولَ الله سبحانه وتعالَى على لسان يوسف ـــ عليه الـــسلام.. "يوسف47": {**فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ**}.

خِتاماً.. أشكر كلّ الرّاويات والرُّواة.. الذين أمتعونِي أوَّلاً بسرديّاتِهم.. وأَدين لهـــم بالفَضْل.. فهم وعاء ذاكرتنا وحُفّاظها.

***



الْمشايخ

الرّاوية: أمّ الْخَيْر عَقِيْلة عَقِيْلة.

سَمِّعْكَم خَيْر.. ووكِّلْكَم لَحَم طَيْر..

فيه هَذاك السّلْطان ــــ ما سلْطان غَيْر الله.. واللي عَلَيْه ذنوب يقول اســـتغفر الله ــــ قال: (**نريد كلّ المشايخ.. اللي في الْحَومَة واللي بعِيْد.. نعْرِف مشاكلهم.. ونراضـــي بيْن الْمتزاعليْن.. ونعطِيهم هدايا.. بشَرْط كلّ شَيْخ لازِم يْجي عَلَيْ حمار**).

دَزّ البَرّاحِيْن لكلّ مشايخ الوطن.. كلّ بَرّاح مشَى لوطن.. اللي يشْرِف عَلَيْ قبيلـــة يعَلِّي حِسّه قَبْل يْجبِّي: (**يا هَوْه.. أسْمعوا ما تسمعوا الاّ خَيْر.. مَولانا السلْطان يريـــد كلّ المشايخ.. نَقْب الشَّيْخ كلّه يريده.. يحِل مشاكلكم.. ويصالِح بَيْنكَم.. ويعطـــيكم هدايا.. والسّلْطان شرَط شَرْط.. كلّ شَيْخ لابِدَّ يخْشّ بوابة القَصْر علَي حمار.. اللـــي يْجي عَلَي كرْعَيْه ما يخَلُّوش يخشّ.. الحاضِر يعْلِم الغايب.. السلْطان داعِيْكم.. لا يغِيْب لا والِي**).

اللي ما عنده حمار شرَى حمار.. وتَمّوا يلمُّوا في الحَمِيْر.. حتَّـــى الحمـــير الـــضّوالّ جابوهِن.

الله ينعل الشَّيْطان ويْخَزِيْه.. في اليَوم الْمَيْعود.. من صباحات الله ما غاب لا شَيْخ.. ما غاب لا ناقِل عَصا.. تقول بايِتيْن يالا القَصْر.. ما غاب الاّ من مات.. اللي يْجي علَي

حمار يخِشّ معَ بوابة القَصْر.. اللي يْجي عَلَيْ حمار يخِش.. قَيّلَت القايلة.. تَعَقَّب النـــهار.. وهم دايرِيْن سِرّاب.. الحمار في جِرّة الحمار.. نَيْن طَفطفَت الشَّمْس.. وبعدها ماعَد هناك حَد عَلَيْ حمار.

جَوا يريد يسكّروا البوابة.. فيه مشايخ واجدِيْن مازالوا بَرَّة.. قالوا: (**خَلُّونا نخشُّوا.. حتَّى نحْنا مشايخ.. غيْر ما لْقِيْنا شِي حَمِيْر نركبوا عَلَيهِن**).. قالوا: (**أرجوا نَيْن نبلّغُـــوا حَضْرة السّلْطان**).

مشوا للسّلْطان يستاذنوا فيه.. قالوا له: (**فيه مشايخ واجْدِيْن مازالوا بَرَّة.. لكن ما عندهم شِي حَمِيْر.. أَيْش نديروا لهم؟**).. قال السّلْطان: (**لا.. ما فِيْه حَدّ يخِشّ الاّ وهو راكب عَلَيْ حمار.. هذا هو الشَّرْط اللي شرَطْته عَلَيْهم.. لَيْش ما جـــابوا حَمِيْـــر؟**).. ضحك الوزير وقال: (**يا حَضْرة السّلْطان.. خَلِّيهم يخشُّوا وخَـــلاص.. الله غالِـــب.. الْمشايخ أكثر م الْحَمِيْر**)!

ونا جِيْت جاي .. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبة بِك.. انتِي خَيْر منهم.

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة

الثِّيْران السَّبْعة

(خرّافة)

الرّاوية: سالْمِيْن محمد فضيل العوّامي.

الله يبْعد الشَّيْطان.. فيه هَذِيْك الوليّة.. عندها سَبْع أَوْلاد يريد يسافروا.. وهي علَـــيْ طريق.. قالوا لها: (**إن كان جبْتِي عَيِّل عَلّقِي شارة بَيْضا نمشُو في قَيْـــسنا.. وإن كـــان جبْتِي بنت عَلّقي شارة حَمْرا نُتكُّو**).. سَبْع إخْوَة مشتاقِيْن لْخيّة.

قالت للقابلة: (**إن كان جبْت ولَيْد عَلّقي شارَة بَيْضا لضناي.. وإن كان جبْت بْنَيّة عَلّقي شارَة حَمْرا**).. جابَت بْنَيّة.. مشَت القابلة وعَلّقَت شارة بَيْضا.. عَدّوا ضناها.

تَمَّت البنَيّة تَكبْر.. تَكبْر.. يقولوا: (**العَيِّل يَكْبَر في النهار.. والبنت تَكْبَر في الليـــل وفي النهار**).. أمّها كلّما تعثَر تقول قدّام البنت: (**هِدّ يوم السَّبْعة**).. تطِيْح منها حاجـــة تقول: (**هِدّ يَوم السَّبْعة**).. مسكت البنت في جَرجار أمها وقالت: (**والله ما نطلْقِك نَيْن تقولِي لِي من هم السَّبعة.. وأيش حكايتّم**).. قالت: (**هم خُوتِك.. يريـــدوني نجِيْـــب بْنَيّة.. وَينما جِبْتِك ناضَت قابلتِي بدَل ما تعَلّق راية حَمْرا علّقت راية بيضا.. راحَوا.. هَذي ساعة.. وهَذيك ساعة.. ماعَد فَتّحَتْ فيهم عَيْنِي لاعِند صبح اليوم**).

تَمَّت البنت تمشي وتْدَوِّر.. تمشي وتدَوِّر.. تمشي وتـــدَوِّر.. طاحَـــت في هَـــذِيك العجوز.. العْجَيِّز تغربِل.. تبَدِّد في الدقيق.. وتمسك في النخال.. قالت لها: (**لا يا عَمّتِي.. خَلِّيني نغربل نا.. ونسَوّي**).. سَوَّت البنت غداء سمح.. وانْطمْـــرَت.. جَـــوا هَـــذلُوك العَوِيْل.. ذاقوا الطعام.. قالوا: (**ها الغَداء السمح منّك يا عَمْتِي؟**).. قالت لهم: (**منِّي**).

العَوِيل شَكّوا.. تَمّوا كِلّ يوم ايْجي واحد ينْطمِر يَلْحَظ البنت تغربِل وتسَوِّي.. كِلّ يوم ايْجي واحد ينْطمِر يَلْحَظها.. سابِع واحد وَينما طَيّبَت الطعام وجَت تريد تنْطمِر مسَكّا.. (**أنتِي أيسم دُوّتك يا بْنَيّة؟**).. خرّفاته.. قالت: (**عِنْدي سَبْع إخوة.. وَيْنما أمِّي جابَتْنِي.. القابلة عَلّقَت شارَة بَيْضا.. عَدّوا خُوتِي يحسابوني ولَد.. تَمّت أمِّي تقول: هِدّ يَوم السّبْعة.. قِلْت لها وَرِّيني ها السبعة منهم.. قالت هم خُوتِك**).. قال لها: (**نحنا هم خُوتِك السَّبْعة**).. فرحت البنت.. وقعَدت مع أخوتّا.. تنْفِق فيهم.

هَذاك النهار.. جا راجِل يطْلِب فيها.. ناضَت العجوز وسحرَت العَويل تَمّوا ثِيْران.. البنت شرطَت عَ الراجل انّه يرَبِّي الثِّيْران.. وافَق الراجل وخَذها.. وقعَد يوَكِّل في الثِّيْران.. يَسْرحَن ويحُوْشَن عليها.. وجابَت ولَيْد.

هَذاك النهار.. برمَت عليها هَذِيْك العجوز.. كَيْما دارَت لخوتّا دارَت لها.. سحرتّا.. تَمَّت حَمامة.. تَمّا الولَيْد يَكْبَر.. ويَلْعَب مع الحمامة.. يوَكِّل فيها.. ويقول لها: (**يا حَمام ويا يْمام.. أمِّي ورا والاّ قدّام.. يا حَمام ويا يْمام.. أمِّي ورا والاّ قدّام**).. تقول له: (**أمَّك ورا ورا.. ودموعها عليك قطا**).. النهار وما طال وهذا دَيْدانْهم.

هَذاك اليوم وَيْنما هَفّتَت عليه مسَكّا.. وتَمَا يتلَمَّس فيها.. يتلَمَّس فيها.. يتلَمَّس.. وهو يَلْقَى فيها هَذِيْك لِبْرة.. نتَش لِبْرة.. رَدَّت الحمامة هي أمّه.. مشَت لخوتّا وتلَمّستّم.. لقَيَت في كِلّ واحَد إبْرة.. حَيّدتِّن.. ورَدّوا سَبْع رجاجيل.

ونا جيْت جاي .. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبَة بِك.. انتِي خَيْر منهم.

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة

الكاغط

(خرّافة)

الرّاوية: امغَلِيّة برَيدان الْمنفي.

الله يبعد الشَّيْطان.. العَداوة بين القَطُّوس والفار قديْمة.. لا هِيْ اليـــوم.. ولا هِيْ أمس.. من يوماً حَنَّت ناقة صالح.. والاّ حتَّى قبلها.

عَلَيْ كلّ حال.. الْحاصِل.. طالَت العَداوة.. ناض الفار وقَـــدَّم شَـــكْوَى.. وطلَب مِيْعاد.. قال: (**راحَت علينا لَيلة.. القطاطيس ما عِنْدهِن لا حـــصاد ولا رعاية الاّ نحنا.. انقرَضْنا.. قِيْلُونا**).. قالوا: (**صدَق الفار.. إن كان دام ها الحال تنقرِض الفِيْران**).

الْتفتْوا لشيخ القطاطيس وقالوا له: (**أيْش رايك يا وجُوْه القطاطيس؟ الفـــار طالَب القَيْلة**).. قال: (**عَلَيْ كَيفكَم.. ما يلُومني حَد.. إن كان اصّالْحَن القِـــطّ والفار.. خرِب دكّان البَقّال**).

اتّفقوا.. وكتبوا كاغِط.. وملّوا شروط عَ القطاطيس والفِيْران.. وقالوا: (**كِلّ حَد يلْتزِم**).. وأكّدوا عَ القَطُّوس: (**ردّ بالَك م التّعدِّي.. الْتزِمْ.. راه فِيك رَفّـــة أَشْناب.. تَسْهَا عَلَيْ رُوْحَك.. ويْجيْك ضلالَك**).. وفي ختام الميعـــاد.. تعَهَّـــد القطُّوس وبصَم ع الكاغِط.. خبَش.. وكَبّ عَلَيْ راس الفـــار.. وتَمّـــوا حُـــبّ وحَلِيْب.. وقروا الفاتحة.

عَدِّي يا زمان.. تعال يا زمان.. هَذاك النهار القَطُّوْس راقد في راس خَرُّوبـــة ويحلم.. (**حِلْم القطاطِيْس كِلّه فِيْران**).. وعِي.. تكَسَّل.. لْقِي رُوْحَه جَيْعـــان..

نزَل.. مشَى شوَي.. يشمّ ويكَسِّر في ذانه.. أَشْرف عَلَيْ هَذاك الْحَجْف اللي تَطْلَع من تحته العَيْن.. الْمويّة تجري معَ الوادي.. طلَق نظَره مع مَجْرَى العَيْن.. لحَظ الفار يخَوِّض في السَّيْل.. يعوم ويَطْلَع وينْفِض وبره.. ويردّ أخرى.. قال القَطُّوس: (**إن غاب القِطّ.. الْعَبْ يا فار**).

الفار دار رُوْحَه ما يَسْمَع في شَيّ.. مطّامِن.. بَيْنهم كاغِط.. القَطُّوْس قال: (**تغْسِل في خَطاياك؟ خَطاياك ما يغْسلْهِن حَتَّى البحر الْمالِح.. الفار يْنَجِّس خابية**).

قال الفار: (**هَذي مَيْش خابية.. هذا سَيْل.. والسَّيْل ينَظِّف رُوْحَه**).. قال القَطُّوس: (**يدِيْرَنْها الفِيْران.. ويَوْحَلَن فِيْها الثِّيْران.. دَرْدَرْت العَيْن اللي نَشْربو منها**).

رَدّ عَلَيْه الفار: (**أنت فَوْق.. ونا تحت.. عمْري ما سمعت السَّيْل يَرْقا.. السَّيْل جايّ من راس الوادي.. من عِنْدك.. والدّرْدي ماشي لْذَيل الوادي.. اشْرَبْ من مَنْبَع العَيْن بلا دوارة حِسّ**).

قفَز القَطُّوس ومسح أشْنابه وقال: (**بلا عناد.. هذا الْخبَر اللي خَلاّنِي ناكِل الفِيْران**).. قال الفار: (**اسْمَعْ.. بَيْنّا كاغِط**).. قال الفار: (**أنت خَلَّيْت فيها كاغِط**)؟ ونزل يتنَقَّز شَوْر الفار.

ونا جِيْت جاي .. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبَة بِك.. انتِي خَيْر منهم.

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة

الْخَتِيْن

الرّاوي: سالم مراجِع يونس .

اللهَ يَنْعَل الشَّيْطان.. فيه اثنين أَصْحاب في هَذاك النَّجْع.. تقول مرَوّمِيْن بْمِلْحة .. الصاحب القرَيِّب يسَمُّوه (خَتِيْن).. واحد منهم يريد وحْدة من بنات النَّجْع ..وينما جَت الحَصِيْدة.. قال لها :(**نريد نمشي نحْصِد زَرْعي.. ونَرْعَى ابْلِي**) ..وخَذ منها عَهْد.. وخذت منّه عَهْد .

فيه واحد آخر في النَّجْع يريد نَفْس البنت.. لكن هي ما تريدش.. جا لعجوز من عجايز النَّجْع وحكَى لها.. قالت له :(**ابْشِرْ.. ما يكَوِّن الله الاّ خَيْر**) .

خَذَت العجُوز تراب أبيض.. وشراب زَمْزَم.. ومشت لها.. وقالت لها :(**صاحبِك طَوَّل.. لو كان يريدك ما سَيّبك.. لا تضَيِّعي شبابك.. اللي شاهِيْك وشارِيْك قاعِد**) .. وطَّلعت التراب والشراب وحلفَت :(**وحَقّ هَا التراب وهَا الشراب ما قلت إلاّ صادقة**) .. وتَمَّت تحايل عليها.. تفتل لها في الذّرْوَة والغارِب.. نَيْن صَدَّقت ووافقَت ..دَبّرَت لها موعد في البيت.. وقالت لها أَلْبسي جديد .

في الضحاة.. لحَظْها الْخَتِيْن لابسه جديد.. اسْتَغْرَب.. مَفْرُوض ما تَلْبَس جديد نَيْن يرِدّ صاحبها.. ولو كان جا هو صاحبه.. أوّل مَن يعْرِف .

جا من قدّام البَيْت.. يتواكا عَلَيْ عَصا منقوشة بالحِنّا.. لقيهم في الرفَّة يضْحَكوا ..عَجَّج عليهم بالعَصا.. قالت :(**حِقّ.. ليش اتعجِّج علينا.. والاّ انعَمَيْت؟**).

قال لها:

العَقل جاي ينْشِد فيك   عَلَيْ هَذَا يا عَيْن أيْسمه؟

قالت له:

عَلَم جديد بَقْدَاره   خَيْر مِن مرَاجاة العْوِل.

قال لها:

مَسيْول نِمْتسِك نا فيه   اتْدِيْري خَطَا يا النَّاقصة.

قالت:

لا شَيَّعَوا مِرْسَال   ولا قابلَوا بوجُوههم.

قال:

أمّا يحْصدوا في زَرْع   والاّ هم غَنايا بْمالهم .

حَسَّت انها اسَّرَّعَت .. ندمَت وقالت:

لاجل خاطْرَك نَرْجَوه   يقابِل ولاَ صار الخَطا .

وسَيّبَت الراجِل في الرَّفَّة.. وطلعَت.

ونا جِيْت جاي .. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبة بَك.. أنت خَيْر منهم.

***

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة

أمّ اجْلَيْدة

الرّاوية: مَرْيَم يوسف بوبرِيْق .

فيه هَذاك السلطان ـــ ما سلطان غير الله واللي عليه ذنب يقول استغفر الله ـــ عنده هَذِيْك الولِيّة.. قال لها :(**كيف تْجِيبِي ولَد نْخَلِّيْه.. وكيف تْجِيبِي بنت نقتلها.. البنات سِلْعة ذِلّ**) .

تَمَّت تْجِيب فِي بنَيّات.. وكلّما تْجِيْب بْنَيّة يقتلها.. كلّما تْجِيْب بْنَيّة يقتلها.. هَذِيْك الْمَرَّة جابت بْنَيّة.. قالت :(**واللهِ ها البنَيّة نطمرها وما نْخَلِّيه يقتلها**) ..طمرَتّا.. وتَمَّت تربِّي فيها .

كبْرَت البنَيّة ..رفيقة السلطان تمشي هي ويّاه للمناسبات.. وتروِّح وتقول له :(**رَيْت شِي وحْدة أَسْمَح منِّي؟**) ..يقول لها :(**ما رَيْت حَد أَسْمح منِّك**) .

هَذِيْك الْمَرَّة مشوا.. نسِي حاجة رَدّ عليها.. لقي البنَيّة طالعة بَرَّة وتمشط.. لَحَظْها .. كمّلَوا مَمْشاهم ورَوّحَوا.. قالت له :(**رَيْت شِي وحْدة أَسْمَح منِّي؟**) ..قال لها :(**رَيْت أَسْمح منِّك**) .

جت للبنت قالت لها :(**يا بنَيّة لحظك بوك؟**) ..قالت :(**لقِيْنِي هنا نمشِط في الشمس**) .. مشت لهذاك الجَلاّد.. وقالت له :(**نعطِيْك اللي تريدها.. ودِيْر لبنتِي جِلْد يجي عليها**) .. جابت لها الجِلْد.. ولبْساته لها.. وشَيّلتّا ذهوب.. وقالت لها :(**ابْعدي.. أرض الله واسعة**) .. تَمَّت تايهة في هَذِيْك الصحرا.. تاكل مع الغزال.. وتشرب من حليبه .

جا السلطان وقال لرفيقته :(**وَيْن البنت اللي كانت هنا؟**) ..قالت :(**مارَيْت لا بنت.. لا رَيْت شَيّ**) ..دَوَّر في البلاد.. دَوَّر.. دَوَّر.. نشَد.. ما لقِي لا شَيّ ..أَيَّس .

جا ولَد هَذاك السلطان يصَيَّد في الغزال.. لقيها سارحة مع الغزلان.. لابسة الجِلْد.. قال : (**ناخذ ها الحاجة الغريبة يلعبَن عليها خَواتِي**) ..جابْها.. قالَن خواته :(**هَذِي ما تقعِدش معانا.. تقعِد معَ الخادِم**) ..قعدت معَ الخادِم.. في العِيْد تْحَنِّي هي والخادِم معَ بعضهِن.. وتعيِّد معاها .

هَذِيْك الليلة قالت للخادِم :(**امّنِيْني؟**) ..قالت الخادِم :(**عَلَيْك لامان.. وخاتِم سِيْدي سليمان**) ..تَمَّت في الليل تَسْلَح في الجِلْد.. وتَلْبَس م الدّبش والذهب اللي عطاته لها أمّها .

قالوا :(**السلطان يريد يمشي لبلاد أخرى.. يجَوِّز ولده منها**) ..مشَى السلطان وهَله كلّهم ..لحْقَتّم أمّ جْلَيْدة.. وصلوا ودارَوا الفرح.. وتَمَّوا يلعبوا .

أمّ جْلَيْدة حَيّدَت الجِلْد.. وجَت في الوسط.. وتَمَّت ترْقِص وتْمِيْل شَوْر ولَد السلطان .. وعَطاته خاتِم.. وخَذَت منّه خاتِم.. وطلعت.. دَوّرَوها ما لقْيَوها.. رَدَّت ولبست جلْدها.. وقعدت.. ولد السلطان زهد في العروس.. وسَيَّب الفرح.. تَمَّت أمّه وخَواته يتباكَن .

رَوَّح لقصر بُوه ..قال لهم :(**جِيْبوا العَبِيْد ونمشوا ندَوّرُوها وَينما كانت**) ..تَمَّوا يجَهّزوا في القافلة.. وتَمَّن يديرن في خبزة.. قالت أمّ جْلَيْدة للخادم قولِي لهم :(**حَتَّى نحْنا عطُونا دقيق نديرو خبزة لسِيْدي**) ..طردَنْها خَوات السلطان.. قال لهن :(**خَلّنْهن حَتَّى هن يديرن خبزة**) ..قالت أمّ جْلَيْدة للخادم :(**خبزتنا ما تعطيها لهم نَيْن يريد يسَّقّدَوا ويرحلوا.. نَيْن تَوتَى القافلة**) .

وينما رمَت رشقَت الخاتِم في فردة الخبزة.. ورجاته نَيْن ركب علَيْ حصانه.. وقالت له الخادم :(**يا سِيْدي.. يا سِيْدي.. نسيْت خبزتْنا**) ..قالنَ خَوات السلطان :(**فكُّونا منها خبزة أمّ جْلَيْدة والخادِم**) ..قال :(**لا.. جيبُوها**) ..حَطّها في الشّواري .

وينما جوا في نصّ الطريق قالوا :(**نريد نديرو شاهي**) ..بَرّكَوا الابل.. وتَمَّوا يديروا في شاهي.. قالوا :(**عَدُّوا جيبوا الخبزة من عَ الابل**) ..قال ولد السلطان :(**آهي خبزة قرَيّبة في شَرْز الحصان**) ..جابوها.. وينما طَلّعوا أوَّل فَرْدة لحظ خاتمه في الخبزة.. قال لهم :(**يا جماعة دُوَّة قايْضَة.. ندَوِّر في ولِيّة مانِي عارف وَيْن ماشية.. لا.. نردّ ارْدُوْد**) .

رَدَّوا..فرحن خَواته.. تَمَّن يزغرتَن.. قالن له :(**لقِيْتّا؟**) ..قال :(**لا والله ..دُوَّة قايْضَة.. نتبِّع في وليّة.. مانيش ماشي**) .

خَلاّ نَيْن الليل لَيَّل وكَلَّم الخادم.. قال لها :(**تعالَي هَنا.. أمّ جْلَيْدة هَذي أيْش حكايتّا؟**) ..قالت :(**أمّ جْلَيْدة عطيتّا أمان.. ولامان واعِر.. لكن في الليل تباوَعْنا قبل النوم**) ..تَمَّا يتباوَع فيهِن.. سلحَت الجِلْد.. ثاريتّا هي صاحبته اللي مالت عليه في الفرح وعطاته الخاتِم .

أوْعِي في الصبح وقال لبوه :(**نبِّي ناخذ أمّ جْلَيْدة**) ..تباكَن خَواته.. يريد يثْنّنه ..قال : (**لا.. لابدَّ ناخذ أمّ جْلَيْدة**) ..بدَن يحَضّرَن للفرح.. يدقَّن في الحِنّا.. ويتباكَن .

في الليل حَيّدَت الجِبّة وباتَت.. وفي الصبح جَن خَوات السلطان باكْرات.. قالن :(**نريدو نشوفو ها الْمَنْجُوهَة**) ..وينما خشَّن ثاريتّا أجمل منها مافيه.. أسمح ما خَلَق ربِّي ..من سماحتّا اللي نظرتّا عَضّت علَيْ اصبعها قطعاته.. اللي نظرتّا عَضّت علَيْ اصبعها قطعاته.

ونا جِيْت جاي.. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبة بِك.. انتِي خَيْر منهم.

***

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة

سَوْط في غَوْط

الرّاوية: رقيّة عبدالفتّاح أبوبكر .

الله يبْعد الشَّيْطان.. فيه هَذاك الراجل.. في النهار راجِل.. وفي الليل يَبْقَى غُول.. جا يريد يتيَهَّل.. سمع عَلي ولِيّة كوَيّسة.. سمحة.. مشَى لها.. قال لها :(**يا بنت الناس.. لِيّ زمان ندَوِّر عَلَيْ بنْت الحلال.. نريد نكَمِّل نِصّ دِيْني ..وأَيْش رايك؟**) ..قالت :(**باهِي.. فيها خِيْرة**) .. دارَوا الفَرْح .

أَوَّل ليلة خَشّ عليها.. تحوَّل.. واسَّخَّر غُول.. خافَت.. حَصّلت غَفلة م الغُول طلعت.. جَت لهَذيْك العجوز.. حَكَت لها.. قالت لها العجوز :(**نعطِيْك مِشْط.. ونعطِيْك إبْرة.. ونعطِيْك مِلْح.. إن كان لحقِك اعْزقِي له المشْط.. وبَعدها اعْزقِي له لِبْرة.. وبعدها اعْزقِي له الملْح**) .

الليلة الثانية خَشّ عليها الراجِل.. تحوَّل.. اسَّخَّر غُول.. راحَت تجري.. لحقْها ــ عَزّكَم الله ــ علَيْ كَلب.. عْزَقَت له المشْط.. المشْط تَمّا غابة.. قعَد يقول :(**نا نكَسِّر ..وكَلْبي يْكَسِّر.. نَيْن نْدِيْرُو في الغابة طريق**) ..يجري وراها ويقول :(**نا نكَسِّر.. وكَلْبِي يْكَسِّر.. نَيْن نْدِيْرُو في الغابة طريق**) ..شَقّ طريق ولحقْها .

عْزَقَت له لِبْرة ..لِبْرة تَمَّت حَديد.. سَدّ عليه الطريق.. قعَد يقول :(**نا نكَسِّر.. وكَلْبِي يْكَسِّر.. نَيْن نْدِيْرُو في الحديد طريق**) ..(**نا نكَسِّر.. وكَلْبِي يْكَسِّر.. نَيْن نْدِيْرُو في الحديد طريق**) ..شَقّ طريق ولحقْها .

عْزقَت له الملْح ..الملْح تَمّا بحر.. حال بَينه وبَينها.. قعَد يقول :(**نا نَشْرَب.. وكَلْبِي يَلْغَى نَيْن نْدِيْرُو فِي البحر طريق**) ..لا رُوي.. ولا البحر نزَح.. يَشْرَب ويقول :(**نا نَشْرَب.. وكَلْبِي يَلْغَى نَيْن نْدِيْرُو فِي البحر طريق**) ..انفلَق الكَلب.. وانفلَق الغُول .

الغُول ـــ وهو عَلَيْ فراش الْموت ـــ قال لها :(**والله نقْعِد لِك كَبْش فِي ضان.. وسَوْط فِي غَوْط ..وبلحة فِي تَمْر**) .

مات الغُول ..افتَكَّت منّه ومِن جرايْره.. اهْناك الجوايز اللي امْغَيْر يْهدَّن العمر.. وَينما تمشي الولِيّة سارحة مع الضان ينطحها الكَبْش.. وَيْنما تَسْرَح ينطحها.. سَيّبَت الغَلَم .

وَيْنما تمشي تْحَطِّب يشْلطها سَوْط.. ما تعرفه منَيْن جاها.. كَيْ تْمِدّ إِيْدها للعُود يشْلطها سَوْط.. رَوّحَت بلا حَطَب .

هَذاك النهار جابَت طبَق تَمْر.. تَمَّت تاكِل.. غَصَّت فِي بلحة وماتَت ..(**لا رْبِح النّعام ولا طارْده**).

ونا جِيْت جاي .. وهم عَدَّوا غادي.

مَرْحَبة بِك.. انتِي خَيْر منهم.

من كتاب: خراريف ليبية لأحمد يوسف عقيلة